مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 02 ص.ص: 1432-1449

التجسيد الاستعاري والمكون الزمني في ضوء اللسانيات العرفانية
–مقاطع من قصيدة حالة حصار أنموذجا–

Metaphorical embodiment and temporal component in the light of cognitive linguistics
- Excerpts from the poem State of Siege as an example -

نسرين بوعمراني، المركز الجامعي عبد الله مرسلي تيبازة، (الجزائر)

Bouamrani.nesrine@cu-tipaza.dz

تاريخ إرسال المقال: 07-08-2023 تاريخ قبول المقال: 03-11-2023

الملخص:

تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في أنها محاولة لتطبيق معطيات اللسانيات العرفانية التي تعد فرعا مستجدا على الساحة اللسانية على إحدى الظواهر اللغوية الثابتة وهي الزمن؛ عبر استثمار المعطيات اللسانيات العرفانية القائمة على كيفية امتلاك الذهن للمعرفة وتطويره لها والمؤكد على تفاعل الذهن مع محيطه، ورصد تمثلات النظام المفاهمي العرفاني لظاهرتي التجسيد الاستعاري ومفهوم الزمن في العقل العربي من خلال المخرجات اللغوية التي ينظر إليها على أنها مستودع لمعرفتنا بالعالم وبهوياتنا أيضا من خلال التعالق الحاصل بين هذه المعاني والتجارب الحسية الحياتية، وقد انتقينا نصا شعريا للشاعر محمود درويش موسوم بحالة حصار ليكون أنموذجا للدراسة.

الكلمات المفتاحية: التجسيد الاستعاري؛ الزمن؛ اللسانيات العرفانية؛ التمثلات الذهنية.

Abstract: The importance of this research paper lies in the fact that it is an attempt to apply the data of cognitive linguistics, which is a new branch in the linguistic field, to one of the fixed linguistic phenomena , which is time. By investing the mystical linguistic data based on how the mind acquires knowledge and developing it, and by emphasizing the interaction of the mind with its environment and by monitoring the representations of the conceptual-cognitive system of phenomena of metaphorical embodiment and of the concept of time in the Arab mind through the linguistic productions which are seen as the repository of our knowledge of the world and our identities as well as through the interdependence of the quotient Between these senses and the experiences sensory aspects of life, we have selected a poetic text by the poet Mahmoud Darwish marked by a state of siege to serve as a model for the study.

Key words : metaphorical embodiment; time; cognitive linguistics; mental representations.

مقدمة:

أكد لايكوف وجونسون على كون البُنى المجازية والبُنى الاستعارية ظاهرتين ذهنيتين يمكن أن تتمظهرا في خطابات متنوعة فهما تقومان بدور الوسيط بين الذهن والثقافة وتسهمان في نمو اللغة وتطورها، "أن إدراك حقيقة التفاعل القائم بين الفرد ومحيطه الخارجي يفضي بالضرورة إلى الاقرار بوجود تفاعل بين انتاج المعاني بالبنية الذهنية وبين نتاجات تفاعل الجسد مع المحيط لتكون بذلك آلية انتاج الاستعارات ومقصديتها آلية لقراءة الواقع، من ناحية والاطلاع على مكنونات الذهن والنفس من ناحية أخرى.

وقد تأسس هذا الاتجاه على فرضية التجسد أو الجسدنة، وهي واحدة من المبادئ المركزية الموجهة للدلالة العرفانية، ومعنى ان تكون البنية التصورية مجسدنة هو أن نقيد نوع التصورات المشفرة وطبيعتها والمتحققة عبر اللغة بالنظر إلى الكيفية التي يوفر بها النسق اللغوي المعنى استنادا إلى تصورات مشتقة من الجسد.

تتجسد هذه الظاهرة بقوة في تعامل الذهنية العربي مع مفهوم الزمن ومفهوم تجريدي محض يحتاج لفهمه والتعامل معه إلى مجال مصدر أكثر مادية وأقرب للتجسيد حتى يتمثل لنا الزمن في هيئة معينة وبنية لغوية، فنحاوره ونعاتبه ونربحه ونخسره ونركض خلفه ويهجم علينا يسبقنا أو نسبقه.

تعد بذلك هذه الدراسة محاولة لاستثمار المعطيات اللسانية العرفانية لفهم آليات تفاعل الذهن مع محيطه، ثم رصد الميكانزمات التي يعتمدها النظام المفاهيمي العرفاني في تجسيده الاستعاري وتصويره لمفهوم الزمن، وما ينبني عن ذلك من مخرجات لغوية من شأنه ان تسهم في بناء معرفتنا بالعالم.

وينطلق البحث من إشكاليتين رئيستين ترصدان علاقة الذهن بالاستعارات وتصوره لمفهوم الزمن: إلى أي مدى تسهم الاستعارات التصورية الموجودة داخل النص في تجسيد المعاني الذهنية؟ وإلى أي مدى يسهم تعدد الاحالات الزمنية في الكشف عن المكنونات الذهنية؟

المبحث الأول: اللسانيات العرفانية

تعتبر اللسانيات العرفانية من التيارات اللسانية الحديثة، نشأت وتطورت في ثمانينيات القرن الماضي بالولايات المتحدة الامريكية، وتمتاز بوثاقة صلتها بالعلوم المجاورة لها كالدراسات النفسية والعصبية التي وضعت في جملة أهدافها التعرف على آليات عمل الدماغ البشري، ومحاولة فهم ميكانزمات عمل مختلف

العمليات العقلية المتصلة بالمعرفة الإنسانية، والجدير بالذكر أن هذه التخصصات المتعالقة تنظر إلى اللغة باعتبارها ظاهرة نفسية ذهنية تفهم فقط إذا نُظر إليها في إطار علاقتها بالظواهر الذهنية الأخرى.

المطلب الأول: تعريف اللسانيات العرفانية

تشكلت اللسانيات العرفانية في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، "وتجري تسمية هذه اللسانيات عامة على تيار أو حركة تضم عددا من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات لكنّها مختلفة ومتنوعة ومتداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات الانشغال فيها".[1]

أدرج هادمود بوزمان في قاموسه وصفا للسانيات العرفانية ورد فيه أنّها "اتجاه في البحث متداخل التخصصات، تطور في نهاية الخمسينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، ويُعنى بدراسة العمليات الذهنية لاكتساب المعارف واللغة واستخدامها، وعلى خلاف النزعة السلوكية المركزة على السلوك القابل للملاحظة والسيرورات القائمة على المثير والاستجابة يؤدي السلوك في اللسانيات العرفانية دور الواسطة بقدر دعمه رؤى متعمقة لسيرورات العرفانية. والهدف من الدراسة العرفانية هو البحث في البنية والتنظيم العرفانيين أو الذهنيين من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التفكير وتخزين المعلومات وفهم اللغة وانتاجها."[2]

فهي تبحث في العلاقة بين اللّغة والتفكير، وتجدر الإشارة إلى فضل الدراسات التي أقامها علماء الأعصاب والأطباء النفسانيون في التأسيس لهذا الميدان اللساني؛ حيث أثبتت دراساتهم وجود علاقة بين اللغة والذهن، وأن كل نشاط لغوي مرتبط بالدرجة الأولى بالذهن، لتكون العرفنة بذلك "نشاط الذهن في عموم مظاهره فتشمل التذكر والتعقل وحل المسائل والتحليل والحكم والتخطيط والإحساس والشعور والتعلم والتكلم والرسم والرقص وجميع ما تتصورون من الأنشطة الذهنية الحسية العصبية مما له صلة بالذكاء الطبيعي" [3]وهذا ما يجعل كلا من اللسانيات، وعلم النفس، وعلم الحاسوب، وعلم الأعصاب والذكاء الاصطناعي أقطابا مساهمة في مجال أوسع هو العلوم العرفانية.

---

[1] . عمر بن دحمان، المنهج العرفاني في المقام التربوي، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، لخدمة اللغة العربية، 2019، ص123.

[2]. Hadumod Bussmmann,RoutledgeDictionaryof linguageand linguistick ;translated and edited byGregoryTrauth and Kerstin K azzaz ;i edition published in the Taylor and Francis e _Library, London and New YORK ;2006 ;p.197

[3] . فليسي أمين، ملامح العرفانية وعلاقتها بالتداولية، مجلة ممارسات لغوية، تيزي وزو، الجزائر، ع27، 2014، ص134.

تبحث اللسانيات العرفانية في العمليات الذهنية الجارية أثناء استيعاب الواقع وفهمه وبالتالي إدراكه بالوعي، وتبحث كذلك أنواع وأشكال تمثيلها العقلي، وتسعى اللسانيات الإدراكية شأنها شأن العلم الإدراكي عموما إلى الحصول على بيانات عن النشاط العقلي لكنّها تتمايز عن العلوم الادراكية في كونها تحصر عينة الدراسة في اللغة؛ "لأنها تدرس الوعي وفقا لمادة اللغة، وكذلك تتمايز من حيث المناهج؛ إذ أنها تدرس العمليات الإدراكية وتستخلص استنتاجات حول أنواع الرموز الذهنية في العقل البشري من خلال تطبيق مناهج التحليل اللسانية البحتة الموجودة في نطاق اللسانيات على اللغة، ثم تتبع ذلك بتفسير إدراكي لنتائج البحث"[1]. تلتقي إذن الدراسات اللسانية العرفانية بقريها من الدراسات العرفانية في اهتماماها بالجانب الذهني وحرصها على دراسة النشاط العقلي المصاحب للعمليات، وإيمانها بأن استيعاب الواقع لا يتأتى إلا من خلال عمليات عقلية وذهنية. وتتمايز عن غيرها من الدراسات العرفانية بانشغالها بالحقل اللغوي؛ أي بحصرها لعينة الدراسة في اللغة في محاولة لفهم العمليات الذهنية الجارية في الدماغ البشري والمحققة للفعل اللغوي، وهي تتغيا في ذلك تحصيل تفسيرات ذات طابع إدراكي.

أولا: الاستعارة من منظور لساني عرفاني

عُرفت الاستعارة في النظريات الكلاسيكية باعتبارها "تعبيرا لغويا جديدا تستخدم فيه كلمة أو أكثر من كلمة لمفهوم خارج معناه العرفي المعتاد لتعبر عن مفهوم مشابه"[2]. ثم نشأ التنظير العرفاني للاستعارة بعد بروز الدراسات العرفانية المؤمنة بفكرة الذهن المتجسد، ولعل عمل كل من لايكوف وجونسون هو ما أكد على مركزية الاستعارة في التفكير والمعرفة؛ وذلك حين أكدا "أن موقع الاستعارة ليس في اللغة على الاطلاق، إنما في الكيفية التي نُمفهم بها مجالا ذهنيا ما وفقا لمجال آخر."[3]

ولما كانت الاستعارة أحد المظاهر الذهنية التي تعكسها اللغة فإن اللساني العرفاني يأخذ على عاتقه دراسة هذه الآلية الذهنية بالاعتماد على معطيات لغوية بشكل جلي بوصفها مرآة عاكسة لما يدور في

[1] . ينظر: د تحسين رزاق عزيز، العلم الإدراكي واللسانيات الإدراكية، للكاتبة زينايدا بوبوفا، 8-02-2018، www. alnoor sr. تُصفح بتاريخ : 30-12-2022

[2] . جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق نعمان، د.ط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية مصر، 2014، ص7

[3] . المرجع نفسه، ص7

الفكر، ذلك أن اللغة من منظور عرفاني هي إنتاج للذهن البشري فهي إذن تعكس سيرورة الفكر البشري وبنياته"[1].

وفي هذا تأكيد على أن النسق الصوري الذي يحكم تفكيرنا وسلوكنا مبني وفق نسقية استعارية مما يجعل الاستعارة ملازمة لتعاملاتنا اليومية في كل تفاصيلها وليست مجرد انزياح لغوي كما تدعيه البلاغة الكلاسيكية.

ويعدد لايكوف في نظريته خصائص الاستعارة التي تمثل طبيعتها الجديدة في نقاط أهمها[2]:

–الاستعارة هي الآلية الأساسية التي نستوعب من خلالها التصورات المجردة، ونمارس بها التفكير المجرد؛

–إن الكثير من الموضوعات–من أكثر الأمور المعيشية إلى النظريات العلمية الأكثر صعوبة–لا يمكن فهمها إلا عن طريق الاستعارة؛

–الاستعارة هي تصورية في جوهرها، وليست لغوية، بشكل طبيعي؛

–اللغة الاستعارية هي تجل سطحي للاستعارة التصورية؛

–على الرغم من أن جزءا كبيرا من نسقنا التصوري استعاري، فإن جزءا مهما منه هو غير استعاري. والفهم الاستعاري يكون متجذرا في الفهم غير الاستعاري؛

تسمح لنا الاستعارة بأن نفهم الموضوع المجرد نسبيا، وغير المُبنين بطبيعته من خلال موضوع ملموس أكثر أو أعلى بنينةً على الأقل.

يُسلم لايكوف وجونسون بأن "الاستعارة شأن فكري بالأساس، وليست شأنا لغويا إلا بسبب اشتقاقها من اللغة. ووفق هذه المقاربة تعالج الاستعارات اللغوية بصفتها انعكاسات سطحية لتقاطعات تصورية كامنة بين المجالات العرفانية المختلفة مثل مجالات شؤون الحب/ والرحلات، النظريات/ والمباني، الحجج

[1] . عمر بن دحمان، المنهج العرفاني في المقام التربوي، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص132

[2] . جورج لايكوف، مرجع سابق، ص15

/والقتال، ولها جذورها في الإدارة لا في التواصل."[1] وبذلك ترتقي نظرتنا الى الاستعارة من مجرد كونها أداة بلاغية من ضمن مجموعة أدوات أخرى.

ثانيا: آلية عمل الاستعارة التصورية

جزء كبير من أنظمتنا التصورية مبني على أسس استعارية؛ والطرقة التي يفكر بها الكائن البشري هي استعارية في جزئها الأكبر؛ "إن الجزء الأكبر من نسقنا التصوري ذو طبيعة استعارية مما يجعل تفكيرنا وسلوكنا وتعاملنا اليومي مرتبط بشكل وثيق بالاستعارة"[2]، والإقرار بهذا التفاعل إقرار بأثره في بناء المعاني.

تتمركز الاستعارة في المستوى الذهني ويتم عملها من خلال الربط بين مجالين ذهنيين مختلفين، وهي في اللسانيات العرفانية تتميز عنها في البلاغة الكلاسيكية لكونها تعتمد على مبدأ الربط لا مبدأ المشابهة القبلية، لكونها تصدر عن التجربة الانسانية فهي قائمة على النزعة التجريبية التفاعلية؛ ويتم بذلك نقل التصورات من مجال مصدر إلى مجال هدف، فيحدث الربط بين المجالين مما يولد فكرة جديدة تقربنا من فهم تشكل التجارب في الواقع"[3].

يظهر جليا أن تأسيس هذه الفكرة متأثر بخلفية فلسفية ذات توجه تجريبي، وهذا ما يجعلنا نمزج أو نقرب مجالين أحدهما تجريدي والآخر تجريبي؛ مجالات المصدر هي أبعاد أقرب بكثير أو محاذية للتجربة الجسدية، ومجالات الهدف تجريدية، مما يؤدي إلى أن يستورد المجال الاخير المعنى من المجال الأول، ففي عبارة مثلا لا أعتقد أن هذه العلاقة ستتجه إلى مكان ما"[4]، يتم نقل مجالين مجال العلاقة الشخصية ومجال الرحلة الذي نستشفه من مفهوم الاتجاه إلى مكان ما، بحسب وهكذا يتم صياغة مفهوم مجال ما من خلال المجال الثاني كما يوضحه الشكل التالي:

[1] .المرجع السابق، ص158.

[2] . رحمة توفيق، الاستعارة بين التصور اللساني والتصور البلاغي، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مجلد 5، ع11، 2018، ص133.

[3] . المرجع نفسه، ص134.

[4] . كرستيان سانتيبانييث، الاستعارة والحجاج –مكانة الاستعارة التصورية ووظيفتها في العمل الحجاجي– ترجمة مصطفى عاشق، مجلة في الترجمة، جامعة محمد الخامس، الرباط لمغرب،ص190.

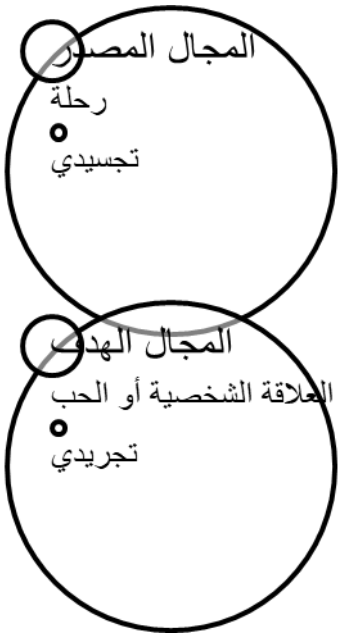

المصدر: إعداد الباحثة

إن انتقائية الاستعارة التصورية قائم على "العوامل البشرية التي تعكس أوجه التشابه غير الموضوعية وغير المسبقة بين مجالات المصدر ومجالات الهدف، وهو ما يسمى القواعد التجريبية أو دوافع الاستعارات التصورية المتمثلة في العلاقة المتبادلة في التجربة، والمشابهة البنيوية المدركة، فضلا عن المشابهة البنيوية من خلال الاستعارات الأساس (المصدر هو جذر الهدف)[1]

المطلب الثاني: التمييز بين الاستعارة الكلاسيكية والاستعارة التصورية

تعالج الاستعارة التصورية في اللسانيات العرفانية بوصفها ظاهرة ذهنية شأنها في ذلك شأن كل البنى المجازية، وهذا يختلف عن المنحى الذي تتخذه البلاغة الكلاسيكية أو حتى اللسانيات التوليدية؛ إذ يُنظر إلى الاستعارة في البلاغة الكلاسيكية على أنها ظاهرة لغوية بحتة يتم فيها الجمع بين صورتين تجمع بينهما علاقة مشابهة، ويسعى التصور التوليدي إلى دراستها على أنها شكل منحرف يحتاج في تأويله إلى العودة إلى مقابلات سليمة؛ أي أن التحقُق العادي للبناء الجملي هو الذي يُشكل مرجعية للصور التي نحكم عليها بكونها غير سليمة أو منحرفة.

[1] . كريستيان سانتيبانييث، مكانة الاستعارة التصورية، مرجع سابق، ص191.

إن اللغة حسب الرؤية العرفانية التصورية ذات طبيعة استعارية؛ مما يجعل الاستعارة جزءا لا يتجزأ من نسقنا الذهني العادي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال دراستها أو النظر إليها على أنها مجرد زخرف فني ذو طبيعة تجميلية يمكن الاستغناء عنه؛ إن الاستعمال الاستعاري لا يرتبط بمعناه اللغوي العادي، بل هي نسق تصوري مادام نسقنا التصوري ذو طبيعة استعارية فالاستعارة ملازمة لحياتنا اليومية وليست بلاغية أو شعرية أو تجميلية...ويستخدمها الانسان كاستخدام باقي حواسه الرؤية والسمع ...للحصول على المدركات مما يجعلها تلعب دورا يوازي في اهميته باقي الحواس الأخرى في إدراك العالم"[1].

ومن ناحية أخرى فإن الاستعارة ما دامت عملية ذهنية قارة فلا يمكنها أن تكون خاصة بخطاب معين دون آخر، بل هي مرتبطة بكل أنواع الخطابات سواء أكانت إبداعية أو عادية، "فالاستعارة إذا كانت في النظرية التقليدية مسألة لغوية فإنها في النظريات الحديثة مسألة فكر وإذا كانت تدرس قديما في الانشاءات الإبداعية فحسب فهي اليوم تدرس أيضا في اللغة اليومية المعتادة فموقع الاستعارة ليس في اللغة على الاطلاق إنما في الكيفية التي نُمفهم بها مجالا ذهنيا ما وفقا لمجال آخر" [2]، لتكون بذلك الاستعارة الأدبية امتدادا للاستعارة اليومية وفق ضوابط و بمقاييس محددة.

المبحث الثاني: الزمن وفقا للاستعارات التصورية العرفانية

استند لايكوف وجونسن في تصورهما على نظرية تفاعلية تعطي تفسيرات للتصورات الاستعارية مبنية على تفاعل قائم بين التجربة البشرية والبيئة المحيطة، ليتم بذلك الوصول إلى بناء تفسيرات لتجارب معينة اعتمادا على مجموع تجارب أخرى مجاورة لها بإمكانها أن تمنحها صفة الجسدنة فيكون فهمها أقرب، ومن تلك التصورات تصورنا للزمن.

المطلب الأول: تجسيد الزمن في الاستعارة التصورية

من غير الممكن تعريف الزمن على أنه شيء في حد ذاته، إنما من خلال مقارنته بالأحداث فتصورنا للزمن ناتج عن خصائص متعلقة بالأحداث، لذلك يستمد الانسان تصوره لمفاهيم الزمانية من المحيط، يدرك المفاهيم الزمانية بحواسه، فهناك إذن تفاعل واضح المعالم بين البنية الذهنية والمحيط لبنينة

[1] . رحمة توفيق، الاستعارة بين التصور اللساني والتصور البلاغي، 134.

[2] . جمعة صبيحة، الاستعارة من المقاربة الجمالية التقليدية إلى المقاربة العرفانية الحديثة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، المجلد4، ع20، 2020، ص46.

(تحصيل بنية لغوية) المفاهيم المجردة التي يقوم عليها مفهوم الزمن، حتى ليجزم البعض أنه لا وجود للزمن خارج الاستعمالات الاستعارية فكل تعاملاتنا اللغوية مع الزمن مبنية بناء استعاريا. فكل إدراك للزمن لا بد له من محيط يستمد منه فيسهم في تحويله من طابعه المجرد إلى الطابع المادي؛ وبذلك يتم بناء مفاهيم الزمن –باعتباره مجالا هدفا– من خلال تصويره بمفاهيم وعلاقات مستمدة من مجال المادة – الذي يعد مجالا مصدرا– بهذه العملية نُمفهم(صياغة مفهوم خاص به) مجالا ذهنيا وفقا لمجال آخر؛ لذا فمن المنطقي القول أنه "لا يمكن افتراض نسق لتصونا للزمن دون اللجوء إلى الاستعارة لأننا في بنائنا لتصورنا للزمن نستعمل عدداً من الاستعارات ولكل استعارة ميتافيزيقيا خاصة، كما أن لاستعمال الحركة في الأنساق التصورية للزمن دور مهم، لكن ليس بالمفهوم الفيزيائي للحركة الذي ينص على أنها تغير في المكان عبر الزمن بل تكون معكوسة من الناحية المعرفية، فالحركة أولية والزمن هو المتصور الاستعاري النافذ من خلال الحركة وخير مثال هو في استعارة التوجيه الزمني المتلخص في وجود مُلاحِظ يُواجه المُستقبل، فالمستقبل إلى الأمام والماضي يمثل الخلف فيما يمثل الحاضر موقع المُلاحِظ."[1]

ويمكن بناء على ما قلناه مفهمة الزمن بإلباسه لباس المكان أو بتشخيصه أو تجسيده، وغير ذلك من الأليات التي تعمل على تحويله من طابعه التجريدي المحض إلى طابع أقرب للمادي؛ فيتعدد المجال المصدر كما تبينه الامثلة التالية: 1–علمني الدهر/ 2–ليس لدي وقت أمنحه إياك/ أعطيتك وقتا كثيرا/ضيعت وقتا ثمينا/ 3-تلوت كتاب الدهر حتى كأنني ** أرى الأمس آخر الصفحات

[1] . ايمان عبد الستار عطاء الله، الاستعارة والزمن قراءة في كتاب الفلسفة في الجسد، جورج لايكوف وجونسون، مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي،30–05–2017، https://www.ssrcaw.org، اطلع عليه بتاريخ: 31–12–2022

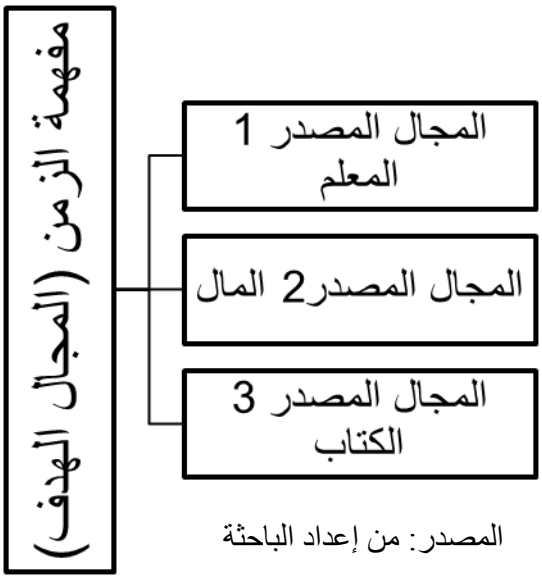

المصدر: من إعداد الباحثة

وكثيرا ما يلبس الزمن لباس البعد المكاني للتعبير عنه كطريق أو مسافة، وهذا الطريق أو تلك المسافة عليها نقاط زمنية لأحداث مجردة أو مواقيت معينة، ويتم تحديد المسافات الزمنية من نقطة ما ابتداء إلى نقطة أخرى انتهاء لتحديد مسافات زمنية معينة، ويكون هذا القياس بناءً على الذات التي تقيس، فكل نقطة تسبق موقع الذات تعود بنا إلى الماضي وكل نقطة بعد الذات تدخل في نطاق المستقبل، وهكذا يكون الماضي وراءنا والمستقبل أمامنا وتمثل إحداثياتنا نقطة الحاضر. "ولو تأملنا البعد الادراكي للزمن في صورة المكان على شكل طريق يصل بين مكانين، نجد اننا نقيس الزمن عن طريق تصور المكان؛ حيث يكون الزمن طريقا نقطعه وندركه مكانيا أيضا"[1] وفي هذه الحال يكون المكان هو ما يمثل مجال المصدر.

المطلب الثاني: نموذج تطبيقي قصيدة حالة حصار "لمحمود درويش"

واهمٌ من يظن أن النصوص الشعرية المعاصرة تكشف أسرارها بلا قراءة واعية ومستبطنة، فالنّظرةُ الانطباعية الأولى سرعان ما تتبدد عندما تصطدم توقعاتنا بجدار من الرموز والتراكيب المجازية والايحائية المستعصية، وإذا كان من الجلي أن النص المعاصر معقد الدلالة فإن فهم ما استغلق منه يتطلب اكتشاف الأسرار القابعة خلف بنيته اللغوية ورصد السياقات التي رافقت بناءه. وقد وقع اختيارنا لمقاطع من ديوان حالة حصار لدرويش لكونه أولا يمثل نموذجا لشعر المعاصر الحافل بالاستعارات

[1] . التميمي جنان بنت عبد العزيز، الزمن في العربية، من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني، ط1، الرياض، 2013، ص256

التصورية التي تكشف عن بناء متناغم بين ما يدور في نفس الشاعر وما يختبره من آلام حياتية جسدها في نصه هذا بشكل ابداعي، كما أن المتأمل لمقاطع النص يجد حضورا لافتا للزمن، وسنحاول من خلال دراستنا هذه التوغل في مساقات القصيدة لفهم المناويل الزمنية وتأويل دلالاتها.

السند[1]:

–1–

هنا عند منحدرات التلال، أمام الغروب
وفوهة الوقت
قرب بساتين مقطوعة الظل
نفعل ما يفعل السجناء
وما يفعل العاطلون عن العمل
نربي الأمل
بلاد على اهبة الفجر صرنا أقل ذكاء
لأنا نحملق في ساعة النصر
لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعية
أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يشعلون لنا النور
في حلكة الأقبية

–2–

هنا بعد اشعار أيوب لم ننتظر أحدا
سيمتد هذا الحصار إلى أن نعلم أعداءنا
نماذج من شعرنا الجاهلي
السماء رصاصية في الضحى
برتقالية في الليالي، وأما القلوب
فظلت حيادية مثل ورد السياج

–3–

هنا، لا أنا

[1] .محمود درويش، ديوان حالة حصار، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، ابريل2002.

هنا يتذكر آدم صلصاله...
يقول على حافة الموت
لم يبق بي موطئ للخسارة
حر أنا قرب حريتي، وغدي في يدي
سوف أدخل عما قليل حياتي
وأولد حرا بلا أبوين،
وأختار لاسمي حروفا من اللازورد
في الحصار تكون الحياة هي الوقت
بين تذكر أولها ونسيان آخرها
–4–
أيها الواقفون على العتبات
أخرجوا من صباحاتنا
نطمئن إلى أننا
بشر مثلكم
نجد الوقت للتسلية
نلعب النرد او نتصفح أخبارنا
في جرائد الامس الجريح، ونقرأ في زاوية الحظ
في عام الفين واثنين تبتسم الكامرا
لمواليد برج الحصار
–4–
كلما جاءني الأمس، قلت له
ليس موعدنا اليوم، فلتبتعد
وتعالى غدا
أفكر من دون جدوى:
بماذا يفكر من هو مثلي، هناك
على قمة التل، منذ ثلاثة آلاف عام
وفي هذه اللحظة العابرة؟

فتوجعني الخاطرة وتنتعش الذاكرة

–5–

نحب الحياة غدا

عندما يصل الغد سوف نحب الحياة

كما هي عادية ماكرة

رمادية أو ملونة

لا قيامة فيها ولا آخرة.

***

هنا/ مؤشرات الزمان والمكان:

أول ما يجذب انتباهنا في القصيدة تكرار المؤشر"هنا"، ومن خلاله يأخذنا الشاعر في جولة إلى فلسطين ليضعنا في صورة ما يحدث، لم يكتف الشاعر بنقل الصورة إلينا، لعله لم يشعر أن نقلها كاف، بل توجب عليه أخذنا معه لنرى ونسمع، و"هنا" التي يطلقها درويش في آذاننا مدوية لا تعني المكان لوحده ولا الزمان لوحده بل هي تحملهما معا فالمقصود بهما "الزمكان الفلسطيني بصورته الراهنة."[1]

والملاحظ لمقاطع القصيدة يجدها تضج بالمؤشرات المكانية والزمانية التي يستعين بها الشاعر لاستعارة مفاهيمه تصورية فنقرا مثلا:

المؤشرات الزمانية	المؤشرات المكانية
هنا–الغروب – الوقت– الفجر– ساعة – ليل –ليلنا– الضحى – يسهرون – غدي– الوقت– عما قليل– الامس– اليوم– غدا – اللحظة– الصباحات	هنا – منحدرات – أمام –بساتين – قرب– الاقبية– العتبات– قمة التل–

هذا فضلا عن حروف الجر الدالة على الظرفية الزمانية مل "في" أو تلك الدالة على الامتداد والغائية، بصيغة من ـــــــــ إلى، أو من ـــــــــ حتى.

[1] . ذياب شاهين، قراءة في معلقة حالة حصار،2–01–2020، www.Amothaqaf.com ، اطلع عليه بتاريخ31–12–2022.

الملفوظ "هنا" إذا أسند إلى زمن الغروب وفوهة الوقت بوصفهما هما أيضا زمنين غير آمنين باعتبار أن الغروب عتبة الليل وبدايته، الليل الذي طالما اعتبر مجالا زمنيا موحشا، يتسلل فيه المجرمون ويخططون لجرائمهم، ثم تستمر الدلالات غير الآمنة التي يسوقها الزمن من خلال عبارة (فوهة الوقت) التي تمثل هي الأخرى علة للموت باعتبار استعارة لفظة "الفوهة" التي تعد من أسلحة القتل، كما تحمل العبارة دلالة على تسلسل الوقت من بين أيدينا، ونحن ما نزال في حالة انتظار(قرب بساتين مقطوعة الظل نفعل ما يفعل السجناء، وما يفعل العاطلون على العمل، نربي الأمل).

إذن فالشاعر يضع القارئ في زمن غير آمن ودموي، والزمكان الرهيب هذا إنما يكشف عن حقيقة شعب يعيش حياته في أرض جرداء وسجن كبير" وكل ما يفعله هو تربية الأمل.

كل هذا مجال الليل الذي يسبق الفجر، الزمن في هذا المقطع متحرك في حين يبقى الانسان في حالة ذهول ثبات وسكون لا حول له ولا قوة؛ يفعل ما يفعله السجناء والعاطلون عن العمل مع أن الفجر مقبل إما لنا وإما علينا، وفي هذا لوم وعتاب من الشاعر بصوت الجماعة إذ (أنا الشاعر) منضوية مع (أنا المجموع) عندما يقول" صرنا أقل ذكاء" ثم يقارنهم بأعدائهم الذين(يسهرون) وهو مؤشر زماني عن اجتهادهم وعملهم ليلا، والعبارة تحمل معنى الكيد والتربص بالفلسطينيين والتخطيط لنيل منهم.

"بلاد على أهبة الفجر"؛ انتقال من الغروب إلى مجال الليل الأسود الذي كله انتظار وحصار إلى مجال زمني جديد هو الفجر، الذي يحمل دلالة البدايات الجديدة والفرص الممكنة؛ وطلوع الفجر إعلان عن ميلاد يوم جديد في حين أن لحظة الغروب هي الساعة التي يحتضر فيها اليوم ليموت، ولعل الشاعر يقف أمام الغروب وهو يرجو موت اليوم الطويل المحمل بقسوة الحياة لعل الحصار يموت معه، أو لعل الفجر الجديد يأتي بفرصة العيش بعيدا عن الحصار.

في المقطع الثاني يستعير الشاعر لفظة "أيوب" الرمزية، والرموز محملة بطاقة تعبيرية قوية تنفجر في القصيدة عند تلقيها بالمعني التي كانت تختزنها، ولفظة أيوب ترمز لتصور يحمله الشاعر لحجم المعاناة التي يتحملها شعبه وكذا لطول أمدها، فيتحقق من خلال ذلك مزج استعاري تصوري صبر أيوب ومعاناة الشعب الفلسطيني الطويلة.

لكن رغم طول امد المعاناة إلا أن الشاعر لا يتوقع انقضاءها السريع لذلك يستعين بمؤشر زمني مقترن بالسين التي تدل على زمن المستقبل (سيمتد هذا الحصار) أما مسافة الامتداد فتحدها بشروط وحيد وقد عبرت القرينة اللغوية "إلى" عن غاية هذا الامتداد هو (أن نعلم أعداءنا نماذج من شعرنا الجاهلي)

غدي في يدي:

في نقطة معينة تختفي الأنا في محاولة للعودة إلى الحياة مرة أخرى بشكل جديد ووضعية جديدة، يكون فيها الانسان أقرب إلى الغد لدرجة الملامسة، هي تجربة مغايرة يرى فيها الشاعر فرصة أخرى للعيش بكرامة وحرية افتقدها في حياته الأولى، والغريب أنها نقطة على هامش الحياة، نقطة (على حافة الموت) وأمل لن تتأتى إلا بالموت. ولن يدخل الانسان حياته هذه إلا إذا أفنى حياته الأولى.

تلك نقطة ينتهي فيها الزمن ويصل الانسان إلى خافة الموت ثم يمتلك القرار؛ القرار بأن يدخل حياته الجديدة، وأن يولد حرا بلا أبوين، وان يختار لنفسه لاسمه (حروفا من اللازورد). الزمن الجديد هو زمن ما بعد الموت أو ما بعد الشهادة، لقد تعدى الشاعر زمن الحياة الواقعية إلى ما بعد الحياة إلى الزمن السريالي، حيث يولد الانسان حرا لأنه يختار الاستشهاد، وهي ولادة لا تحتاج إلى أبوين والاسم الذي يتحلى به هو اسم الشهيد بما يحمله هذا المسمى من شرف.

الحياة هي الوقت/ ولا وقت للوقت:

وفي ذهنية الانسان أن الوقت يتأقلم مع الحالة النفسية، فيمر سريعا إذا كان الانسان مسرورا ويتباطأ مثلا في حالة القلق والانتظار أو الحزن. أما في الحصار فتتوقف الحياة عن الدوران وكأن الزمان لا يتحرك، فالثواني والدقائق والساعات طويلة بل طويلة جدا، ثم يقرر الشاعر أن ينزع الصفات الفزيائية من الحياة التي يعيشها الفلسطينيون لأنها تفتقر لكل ما يجعلها حياة؛ إذ هي بدون إيقاع وبدون محطات حتى كأنها خط مستقيم يبدأ من الصفر وينتهي فيه، ويتوغل في تجريدها حتى يجردها من الوقت (لا وقت للوقت).

كلما جاءني الأمس/ قلت له: ليس موعدنا اليوم/ تعالى غدا:

يمتد الزمن كخط وهمي يمشي عليه الانسان، وهو بذلك طريق وعلى الطريق محطات وأحداث والخط أو الطريق الزمني يمتد بشكل مستقيم أو بشكل دائري، صورة تعبيرية زمنية تفهم إذا مثلت ذاتيتنا جملة مقارنة؛ أي إذا نظرنا إلى مفهوم الماضي والحاضر بالنسبة لوجودنا نحن في نقطة زمنية محددة.

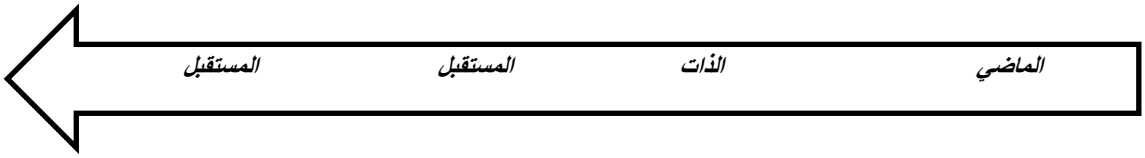

المصدر: إعداد الباحثة

وتسمية أقسام الزمن بالأمس واليوم والغد تقابل ملفوظات الماضي والحاضر والمستقبل من باب تسمية الشيء بجزء منه، فألامس جزء من الماضي والغد جزء من المستقبل، وهي تسمية مشتقة من إدراك الزمن في صورة متحركة حيث تستقبل الذات الزمن القادم باتجاهنا ليصل إلى نقطة تواجدنا ثم يتجاوزنا، أو ننظر إليه باعتبار حركتنا نحن إليه من نقطة وجودنا إلى المستقبل لتكون النقاط التي تجاوزناها من الماضي.

وقد أشار لايكوف إلى هاتين الحالتين الفرعيتين للزمن حيث؛ نحن نتحرك والزمن ساكن، أو الزمن يتحرك ونحن في حالة سكون، نسبية الحركة بالنسبة لنا وجود المستقبل إلى الأمام والماضي خلفنا، ومعنى هذا أنهما حالتان فرعيتان داخل نفس الاستعارة"[1]

يتجسد الزمن في شكل يُمكنه من التحاور مع الشاعر، فيأتي الأمس في هذا المقطع محملا بعبق التاريخ العظيم، والزمن الجميل الذي حكم فيه المسلمون العالم، يأتي هذا الأمس لكي يسود من جديد ويحقق وعدا كان قد قُطع بأن يعود مجد المسلمين وتعود القدس إلى أهلها، لكن نظرة متفحصة لما يحدث اليوم تؤكد أن هذا الغد الجميل ما يزال بعيدا مؤجلا.

الخاتمة:

إن تفعيل التأليف اللساني العربي في مجال اللسانيات العرفانية يعني الدفع بالدراسات اللسانية من المستوى اللغوي البحت الى مستوى تتفاعل فيه الوشائج بين اللغة والذهن والسياقات، فقد ساهمت اللسانيات العرفانية منذ ظهورها إلى الآن في دراسة اللغة كمفهوم ذهني، بعيدا عن الدراسات التقليدية القائمة على الميدانين اللغوي والأسلوبي.

تعد الاستعارات التصورية من أبرز المحاور التي أطلقتها اللسانيات العرفانية، وهي دراسات تتغيا فهم آليات دراسة اللغة انتاجا وفهما وتأويلا.

تُفهم الاستعارة عرفانيا وفقا لنظرية الاسقاط التصوري، عبر اسقاط الميدان المصدر على الميدان الهدف، مع أخذ التفاعلات السياقية بعين الاعتبار؛ إذ أنها تبنى على أساس تفاعل التجربة البشرية مع البيئة المحيطة، ويتم بذلك تحصيل تفسيرات لتجارب معينة اعتمادا على ما تمليه تجارب أخرى مجاورة لها.

[1] .المرجع السابق، ص42

لا مجال للفصل بين الذهن والجسد؛ إذ لا يشتغل الذهن بمعزل عن الجسد، وهو ما يجعل من الجسدنة مفهوما محوريا في اللسانيات العرفانية والاستعارات التصورية، وهذا ما يخلق ارتباطا وثيقا بين الأبنية الاستعارية وتجربة الجسد في العالم.

الحصار عند درويش صنو الانتظار لكنه ليس كأي انتظار إنه انتظار لا يعرف نهاية، حصار يمتد حتى يحيط بالمكان والزمان ثم لا يبقي وقتا للوقت، يحاصر الفلسطينيين فيحرموا من الحياة الكريمة الحرة، حتى تضيق الحياة عليهم فلا يجدون بعد ذلك مناصا من البحث عن حريتهم بعيدا عنها في حياة أخرى؛ حياة لا ندخلها من باب الموت. ليبقى قبل ذلك وبعده الحصار الحقيقي هو اليأس الذي يحاصر الانسان دون حاجة إلى سجن أو قيد.

يتلبس المكان الزمان في استعارات تصورية تشكل مجالا مفهوميا جديدا وتبنين مفاهيم مجردة يتعسر على الشاعر الإحاطة بها بعيدا عن التجسيد الاستعاري؛ ويلبس الزمن في أحايين أخرى لباس الانسان فيحاور ويسأل ويأتي ويرحل.

يعبر الزمان عن المأساة وعن الألم بطوله أحيانا وبانعدامه أحيانا أخرى حتى تنعدم الحياة، ثم يمكنه بعد ذلك أن ينساب من خلال حياة ميتافيزقية يؤمن المسلم بأنها تفتح له مجالا للأمل عندما تتوحش الحياة الدنيا لدرجة ينزع منها كل أمل.

يرتبط فهم اللغة المجازية واستيعابها بفرضية التجسيد ارتباطا وثيقا؛ وبخاصة في الاستعارات التصورية وفي بنية الزمن.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1. التميمي جنان بنت عبد العزيز، الزمن في العربية، من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني–دراسة لسانية إدراكية–، ط1، من إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، الرياض، 2015.
2. جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق نعمان، د.ط، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية مصر، 2014.
3. عمر بن دحمان، المنهج العرفاني في المقام التربوي، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، لخدمة اللغة العربية، 2019.

4. محمود درويش، ديوان حالة حصار، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، ابريل2002.

الكتب الأجنبية:

1. Hadumod Bussmmann,RoutledgeDictionaryof linguageand linguistick ;translated and edited byGregoryTrauth and Kerstin K azzaz ;i edition published in the Taylor and Francis e _Library, London and New YORK ;2006

ثانيا: المقالات

1. جمعة صبيحة، الاستعارة من المقاربة الجمالية التقليدية إلى المقاربة العرفانية الحديثة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، كلية الآداب واللغات، المجلد4، ع20، 2020.
2. رحمة توفيق، الاستعارة بين التصور اللساني والتصور البلاغي، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مجلد 5، ع11، 2018.
3. فليسي أمين، ملامح العرفانية وعلاقتها بالتداولية، مجلة ممارسات لغوية، تيزي وزو، الجزائر، ع27، 2014.
4. كرستيان سانتيبانييث، الاستعارة والحجاج –مكانة الاستعارة التصورية ووظيفتها في العمل الحجاجي– ترجمة مصطفى عاشق، مجلة في الترجمة، جامعة محمد الخامس، الرباط لمغرب، 2019.

ثالثا: المواقع الالكترونية

1. ايمان عبد الستار عطاء الله، الاستعارة والزمن قراءة في كتاب الفلسفة في الجسد، جورج لايكوف وجونسون، مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي،30-05-2017، https://www.ssrcaw.org، اطلع عليه بتاريخ: 31-12-2022
2. تحسين رزاق عزيز، العلم الإدراكي واللسانيات الإدراكية، للكاتبة زينايدا بوبوفا، 8-02-2018، www. alnoor .sr تُصفح بتاريخ : 30 -12-2022.
3. ذياب شاهين، قراءة في معلقة حالة حصار،2-01-2020، www.Amothaqaf.com، اطلع عليه بتاريخ31-12-2022.